الفصل الثامن
المشهد العالمي المعاصر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن
المشهد العالمي المعاصر

بادئ ذي بدئ تناولت الدراسة التحديات الثقافية التي تتعرض لها أمتنا العربية في الوقت الراهن أوطاننا وتتحدد خطة الدراسة- ملخص البحث فيما يلي:

تنقسم الدراسة إلي بابين هما:

الباب الأول: أزمة الثقافة العربية وتحديات المستقبل.**والباب الثاني**:التحديات الثقافية التي تواجهه أمتنا العربية.

وينقسم **الباب الأول** إلي ثلاث مباحث هم:

1- **مبحث تمهيدي**: العولمة ودورها في لأزمة الثقافة العربية

2- **المبحث الأول** : أزمة الثقافة العربية الراهنة.

3- **المبحث الثاني** : الثقافة العربية وتحديات المستقبل.

وفي"**المبحث التمهيدي**"نستعرض دور العولمة في أزمة الثقافة العربية مستعرضين أراء الكتاب والباحثين المؤيدين والمعارضين لها ثم الخروج بالرأي الصائب والحل الامثل الذي يقتضي علينا قبول العولمة أو رفضها. وفي "**المبحث الأول** "نستعرض مفهوم الثقافة والمثقف ثم التعرض للأزمة الثقافة العربية التي يعيشها مجتمعنا العربي في الوقت الراهن.وفي"**المبحث الثاني**"نستعرض أهم التحديات التي تواجه الثقافة العربية ونضع بعض الحلول التي تساعد الشاب العربي في الحفاظ علي القومية العربية.

وينقسم الباب الثاني إلي أربعة مباحث هي:

1. **المبحث الأول**:التحديات التي تواجه اللغة العربية في أوطانه
2. **المبحث الثاني**:التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات العربية.
3. **المبحث الثالث**:خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي.

obeikandl.com

4. **المبحث الرابع**:تقرير نتائج الاستبيان .

وفي "**المبحث الأول** "نقوم باستعراض لأهم التحديات التي تواجه لغتنا العربية في أوطانها ومنها:

1. غزو اللغات الأجنبية للغة الأصلية_اللغة العربية_.
2. وسائل الإعلام العربية التي تستخدم اللغات الأجنبية واللهجة العامية في البرامج الإذاعية.

وغيرها من الأسباب التي نقوم باستعراضها بالتفصيل داخل البحث.وفي"**المبحث الثاني**"نتعرض لأهم التحديات التي تواجهه تعلين اللغة العربية في المدارس والجامعات؛موضحين أراء علمائنا في ذالك؛وبعد ذالك نستخلص أهم التحديات التي تواجهه تعليم اللغة العربية والتي من أبرزها:

1. زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.
2. تدريس اللغات الأجنبية في المرحل الدراسية الأولي من حياة الطفل العربي.

وفي"**المبحث الثالث**"نقوم بإيضاح تأثير الغزو الإعلامي والثقافي علي ثقافة الأمة العربية موضحين أساليب الغزو الإعلامي والثقافي مع توضيح دور المؤسسات التربوية في مكافحة الغزو الثقافي والتي منها:

1. قيام علماء التربية بكشف أهداف المدارس الأجنبية المقامة في البلدان الإسلامية، وتفنيد مناهجها ومقرراتها الدراسية ونشاطاتها وتوضيح مخاطرها على الأمة، واقتراح مناهج ومقررات بديلة، ودراسة آثار خريجي هذه المدارس على المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها ويعملون في مؤسساتها.
2. أن تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة من أساتذة التربية والإعلام، لكي يبدوا رأيهم فيها قبل أن تقدم للمجتمع.

وفي "**المبحث الرابع**" نقوم باستعراض لأراء المفحوصين الخاضعين للدراسة التي أجراها الباحث علي شبكة الإنترنت في الفترة

من2009/6/16 إلي 2009/7/26.وفي أنهاية نقوم بعرض المراجع المستمد منها البحث لعل هذا البحث يسهم بشيء ولو قليل في رفعة الوطن والمحافظة علية.

تتكالب على الأمة العربية الرزايا وتعصف بها الأزمات وتداهمها التحديات والأخطار الداخلية والخارجية ويطمع بأراضيها الطامعون ويمزق نسيجها الاجتماعي والقومي والثقافي الذين يريدون أن تكون هذه الأمة ضعيفة ومتفسخة وممزقة الجسد ومنهكة القوى ومنتهكة الحقوق.

وتعيش هذه الأمة واقع التفسخ والتجزئة والضعف والهوان وواقع التبعية الاقتصادية والسياسية والتعرض للهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافة الأجنبية؛ ولا تحشد الموارد الفكرية والتنظيمية والمادية والسياسية الكافية للدفاع عن القضية العربية ودعمها؛ لقد أثارت وتثير هذه الحالة البائسة همم عدد من الباحثين الذين انبروا لتحديد مواطن الضعف في هذه الأمة ومصادر التهديد والأخطار والداخلية والخارجية وهبوا للمنافحة عن حقوقها بأفكارهم وأقلامهم .

وإنني وأنني لست مؤيد للباحثين الذين يرون أنه لا فائدة من أبحاثهم في تجنيب هذه الأمة للمحن التي تصيبها وفي تخليصها من الواقع الذي تجد نفسها فيه معللين ذالك بأن القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية الأجنبية وحجم الغزو الثقافي الغربي تبلغ من الشدة ما يستحيل تقريبا عنده التصدي للتحديات الأجنبية التي تواجه أمتنا؛هذا بالإضافة إلي عدم تدعيم أبحاثهم وعدم تفعيل الدراسات التي تجري علي كيفية التصدي لغزو الثقافي والفكري الغربي.

وكما أسلفت فإن الشعب العربي يتعرض في الوقت الحاضر لغزو ثقافي مستمر ومكثف تؤازره قوى غربية لها أهدافها الخاصة بها؛ وقدر كبير من القيم والأفكار التي يحملها هذا الغزو مستهجنة وغير سليمة من المنظور القومي العربي؛ وبسبب قوة هذا الغزو والصفات المغرية التي تتصف بها بعض القيم والأفكار التي يحملها هذا الغزو تسللت قيم وأفكار كثيرة في نسيجنا الثقافي العربي وحلت محل قيم غربيه كثيرة، مما أدى إلى إضعاف شخصيتنا الثقافية الأصيلة والى إفقادنا

لتوازننا الثقافي والى حرماننا من القدرة على معرفة شخصيتنا الثقافية الحقيقية؛ ولهذه الأسباب من الضروري أن تسخر أقلام الباحثين والمفكرين لحل هذه المشكلة ولتوضيح الأخطار المترتبة عليها و الطرق التي تعالج بها؛إن تسخير أقلام ألباحثين منا من شأنه أن يكون خدمة جليلة لازمة نقدمها للشعب العربي؛ولذلك من اللازم تشجيع وصول الأبحاث العربية التي تتضمن تبيانا وتحليلا للتحديات التي تواجه الأمة العربية إلى مختلف بقاع الوطن العربي.

ويجدر بي الإشارة إلي الحدود الجغرافية للوطن العربي وهي تتحدد بالرقعة الجغرافية التي يستوطنها العرب في الوقت الراهن؛وهي تشمل المنطقة التي تقع في أسيا وأفريقيا بين خطي العرض37.10شمال خط الاستواء وخطي الطول15غرباو57شرقا وهي المنطقة التي نعنيها حينما نطلق كلمة البلاد العربية أو الوطن العربي؛وهذه الرقعة الجغرافية المترامية الأطراف تبلغ مساحاتها حوالي اثني عشر مليونا من الكيلومترات المر بعه وتمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى الخليج العربي شرقا؛ويحدها من الشمال الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وساحله الشرقي وهضبة الأناضول؛ويحدها من الجنوب بحر العرب والمحيط الهندي وهضبة الحبشة ومنابع النيل والصحراء الكبرى.وتضم في الوقت الراهن دول مستقلة عن بعضها هي:في أسيا :العراق،سوريا ،لبنان،فلسطين،الأردن،اليمن؛ دول الجزيرةالعربية (السعودية، الكويت، دولة الأمارات العربية، قطر، البحرين، عمان) وفي أفريقية توجد: مصر،سوريا، لبيا ،تونس،الجزائر، المغرب،موريتانيا ،السودان،الصومال، جيبوتي وهي كلها أعضاء في جامحة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي.

وسيقوم الباحث باستعراض لأهم التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا العربية ذالك لأن الثقافة هي عماد ألامه وهي التي تعبر عن هوية الشعوب وهي التي تحمي قوميتنا أملاً في الإسهام بشي ولو قليل في حل هذه المشكلة ورغبتا في وحث الجهات المعنية لتفعيل الأبحاث والدراسات التي أجراها علمائنا ؛لنؤدي حق وطننا وامتنا العربية وليجعل الله أقلامنا خير المدافع وخير الحصون التي نحمي بها أمتنا.

أزمة الثقافة العربية وتحديات المستقبل:
مبحث التمهيدي: العولمة ودورها في أزمة الثقافة العربية:

لاشك أن التغيرات والظروف التي اجتاحت البشرية في العقود الأخيرة من القرن الماضي طالت وأصابت سهامها كل مناحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصاديه أو اجتماعيه أو ثقافية أو حضارية مما أدى إلى دفع الإنسانية إلى الدخول في مرحله جديدة من مراحل تاريخها وهو ما أطلق عليه مرحله (العولمة) أي كان لها دور كبير في إخراج كثير من القضايا من افقها المحلي الضيق إلى إطار أوسع وعالم رحب فسيح لتكون متاحة أمام العالم أجمع من دون قيود أوحوا جز أو موانع تعيق مسيرتها وتحولاتها .

ولاشك أيضا أن العولمة بتجلياتها المختلفة فرضت على المجتمعات الانفتاح والتلاقي متناسيه خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية مما أحدث سجالا عميقا بين الأفراد سواء على مستوى النخب أو على مستوى العامة - مابين رافض وبشدة للعولمة باعتبارها طمس لهويه وخصوصية الأمم والشعوب وتذويب لقيمها ومبادئها على حساب نشر قيم غريبة عنها وصبغ العالم بصبغه واحدة لا ثاني لها هي الصبغة الغربية ،وما بين مقبل على العولمة بنهم وشغف دون أدنى تحفظ على كل أو جزء من تجلياتها ،فأحدث ذلك سجلات كثيرة على المستويات كافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ما زالت أحداثها تدور إلى هذه الساعة .

يصعب علينا القول أن منطقتنا العربية والإسلامية بعيدة عن العولمة وتجلياتها وذلك لأنها - العولمة- أصبحت واقعا مفروضا لا يستطيع احد التعامي عنه أو التغاضي عنه والانكفاء على ذاته لان ذلك سيلحق به - وبلا شك – أقصي الضرر لان قافلة الحضارة الإنسانية تسير بسرعة فائقة ويكفي أن نعلم أن التطورات التقنية التي حدثت في العالم في العقد الأخير من القرن الماضي تعادل ما حققته البشرية على مدى قرن كامل –بل أكثر من ذلك – لذا فان التقوقع على ألذات صعب وشاق في ظل هذه الظروف ،إن ما يهمنا في

هذا كله هو –وفي هذا المقام – هو ألازمه الثقافية التي نعيشها وما هو دور تطورات العولمة وتطور وسائل تكنولوجيا المعلومات ونظم الاتصال والمواصلات في تشكيلها التحدي الأكبر للثقافة والمثقف العربي .

ومن جانب أخر تعتبر وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة القومية وأنها أكبر عامل يولد في نفوس الناس إرادة الانتظام في أمة واحدة، وإذا كان الإنسان يتميز عن الحيوان بأنه مدني اجتماعي وأنه ناطق مفكر ، فإن الشعوب تتميز بعضها عن بعض بأن لكل منها لغة خاصة تتكلم بها، فمما لاشك فيه أن اللغة هي أقوي رباط معنوي بين الأفراد ، وكما قالوا فاللغة أصوات يعبر عنها كل قوم من أغراضهم ، ومعني هذا أن لكل قوم لغتهم ، ومتي تفاهم الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم ، ونشأ فيهم شعور بالتعاطف ، قلما ينشأ مثله بين أفراد يتكلمون لغات مختلفة ، وهذا التعاطف أمل عظيم في جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفون أمة واحدة ، ولما كانت اللغة هي عماد الثقافة للأمة ، والثقافة بالنسبة للأمة هي بمثابة الروح بالنسبة للإنسان ، لذلك يذهب البعض إلي أن الأمة ليست ملايين من البشر ، يعيشون علي نفس الأرض أو يرجعون لأصل واحد فحسب ، بل الأمة أيضا وحدة من الفكر والشعور، والإرادة ، والعمل ، ومن أجل المشاركة في الفكر والشعور والإرادة والعمل ، لابد وأن يكون هناك اتصال بين أعضاء الجماعة القومية ، ومن ثم كان للغة المشتركة أهميتها وأثرها كأداة فعالة في تشكيل الوحدة القومية .

المبحث الأول
أزمة الثقافة العربية الراهنة

إن ما جعلنا نشعر بأزمة الثقافة في مجتمعاتنا العربية وكبر حجمها هو ما ورد في هذا التمهيد البسيط لواقع الحال الذي طغت فيه العولمة على كل مناحي حياة الإنسان فدفعته بقوة للبحث عن ذاته أولا ثم عن جذوره ، سواء الجذور الثقافية أو الاجتماعية أو العرقية ، رغم إن ثوب العولمة الخارجي يتحدث عن صهر البشرية كلها في إطار منظومة واحدة من القيم الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية [58].

1ـ مفهوم الثقافة والمثقف:

ولكن قبل الحديث عن واقع ألازمه من الأفضل أن نعرف مفهوم "الثقافة " و"المثقف" وذلك من خلال وجهات نظر مختلفة لباحثين وأكاديميين وخبرا في مجالات مختلفة لنشاهد التجليات المختلفة لهذه المفاهيم وذلك لكي نتمكن من إعطاءها حقها أثناء البحث والنقاش .

أ ـ الثقافة:

قد يكون من أقدم التعريفات للثقافة.. وأكثرها شيوعاً حتى الآن وذلك لأهميته وقيمته التاريخية هو ذلك التعريف الذي قدمه "إدوارد تيلور" في نهايات القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" والذي يقول فيه إلى أن الثقافة هي:

"كل مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف و كل ما يمكن أن يكتسبه الإنسان من إمكانيات وعادات على اعتبار انه عضوً في مجتمع" .

([58]) – د.عبد الرشيد عبد الحافظ ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ، مكتبه مد بولي ، 2005.

– د.عبد العزيز التو يجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة ،دار الشروق،200

obeikandi.com

ـ أما المفكر العربي" د. محمد عابد الجابري" فانه يعرف الثقافة بأنها:

"ذلك المركب المتجانس الذكريات والتطورات والقيم والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة.. أو ما في معناها بهويتها الحضارية.. في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء" .

ـ أما "د/طلال عتريس "فانه يعتبر أن الثقافة:

هي محصلة التفاعل بين ثلاث علاقات مع الله (العقيدة والذات) ومع الآخر (المجتمع والطبقة) ومع الذات (الرغبات والغرائز والحاجات) .

ـ ويعرفها" د. نبيل محمود" علي بأنها :

ما يبقى بعد زوال كل شيء، والمعلومات: هي المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقص بل ينمو مع زيادة استهلاكه، والثقافة تصنع الموارد البشرية كما هي صنعتها .

تختلف التعريفات تبعا لنظرة الباحث والزاوية التي ينظر منها للمفهوم ولكن القواسم المشتركة للمفهوم تجبر الجميع على التوحد حول نقاط مشتركه، وفي تعريف الثقافة فان لا احد ينكر أن قاسمها المشترك هو:

" أن الثقافة هي ما انبثق عنه الفكر الإنساني من إبداع وتعبير وتطور وتمدن؛ ساهم في صبغ المجتمع بصبغه (هوية) ميزته عن غيرة من المجتمعات فمنحته خصوصيته التي يعتز بها ويدافع عنها ويغار عليها من الاعتداء أو المساس، وساعدته على تشكيل أسس حضارته ، وهذا ما يؤكد عليه كثير من الباحثين على أن الحضارة هي نتاج الابتداع الثقافي الذي قدمه مجتمع ما ،وهنا يتداخل المفهومان معا (الحضارة) و(الثقافة) فيشكلان مزجيا يصعب فصل أجزاه عن بعضها البعض ،لأنهما يشكلان جناحي طائر، احدهما يمثل الجناح المادي (الحضارة) والأخر يمثل الجناح ألقيمي والمعنوي وهو (الثقافة) .

بـ المثقف:

ولعلنا في هذا المقام نعرف "المثقف" وخير ما نورده هنا أحدث تعريف للمثقف وهو الذي قدمه المفكر العربي" د/فهمي هو يدي" في محاضرة له في مركز شومان الثقافي في عمان في ابريل 2007 وهو :

"أن المثقف هو كل من تسلح بالمعرفة ووعى طبيعة عصره وعبر عن ضمير أمته وشرعيته لا تقاس بحجم معارفه وإنما بمقدار التزامه الأخلاقي إزاء مجتمعه " وهنا يؤكد الدكتور هو يدي على أهميه الدور الأخلاقي الكبير الذي يقع على عاتق المثقف فغي بناء مجتمعه وحمل رسالته.

2ـ أزمة الثقافة العربية الراهنة:

تعيش الثقافة العربية أزمة منظورة لا يستطيع احد إنكارها أو التغاضي عنها تتجلى ملامحها بنقاط كثيرة ومتعددة قد نستطيع أن نجملها بما يلي:

أولا: النقطة الأولى التي يجب أن تتصدر ملامح أزمة الثقافة العربية هي ما أوردة "د/ خالد الكركي" :

وهو أن الثقافة في زماننا بعيدة ونائية عن واقع الحياة المعاش وغائبة عن مشهد الحياة، لذا فهي لا تلعب دورها في صناعه حياة حرة كريمه تقوم على نشر وزرع قيم العدل والتسامح والاحترام للذات وللآخرين لأنها تقبع في وسط زحام كبير من تيارات الشد والجذب المتناحرة التي تعيشها امتنا والتي يحاول كل تيار فيها أن يثبت ذاته ويتفوق على غيرة [59].

أن هذه التيارات التي مزقت ثقافة آلامه سهلت مهمة دخول ثقافات غربية ـ تهدف إلى الاستغلال والنهب الحضاري والمادي ـ إلى مجتمعاتنا العربية فمزقت جسد آلامه وعاثت فيه نهبا وتخريبا ، فسادت قيم العنف والتطرف والهيمنة وغياب أدنى حقوق البشر التي اقرها الشرع الحكيم وليس لأحد

([59]) دراسة منشورة – للدكتور/خالد الكركي-بعنوان-(الثقافة القومية والثقافة الدينية صراع أم حوار)-نشرت في صحيفة الرأي الأردنية.

فضل في منحها لأحد ، وساهمت أيضا بسهوله تقسيم الجسد الواحد وتقطيع أوصاله وأدخلت ألامه في تيارات العولمة ألاقتصاديه الجارفة فادخلنها إلى أقفاص الرأسمالية العالمية عنوة عنها رغم أنها لا تستطيع إلى ذلك سبيلا.

ويدخل في إطار هذه النقطة ما أوردة "**د/ خالد عربيدات**" من كلام يشخص واقع حال المفكر العربي حيث يقول:

إن معضلة المفكر العربي انه أصبح لا يقيم على ارض الواقع العربي، فالمفكر العربي اليوم في اغلب الأحيان ليس نتاجا لواقعنا وليس نتاجا لهمومنا فهو إما نتاج غربي أو نتاج تاريخي وفي كلا الحالتين أصبح ليس منا فرحل عنا وهو برحيله هذا ترك الميدان لحميدان [60].

ثانيا :حاله الإحباط التي يعيشها المثقف العربي :

إن حاله الإحباط التي يعيشها المثقف العربي والتي تجعله قاصر عن القيام بما تمليه عليه رسالة الثقافة التي يحملها وهي صياغة منظومة فكريه من القيم الإنسانية التي تساهم في صنع كرامه الإنسان ، ولعل ما عاشره المثقف - باعتباره مواطنا – من أزمات تاريخية كان لها دور كبير في تكوين تراكمات إحباطية في نفسيته ورثها لغيرة على مدى الأجيال ، ولعل العودة بحركة التاريخ إلى الخلف قليلا ترينا مشهدا اسودا قاتم لما عانته البلاد العربية من ظروف صعبه في كافه مناحي الحياة سواء كانت السياسية أو ألاقتصاديه أو الاجتماعية كان أولها الاستعمار الذي لعب الدور الأكبر في تحطيم منظومة الثقافة داخل المجتمعات وادخل إليها ثقافة مشوهه أراد تسويقها واستأصل بدلا منها قيم الثقافة المحترمة التي كانت تهدف إلى حرية العقل الإنساني وحرية الإبداع والفكر البشري ، مما ساهم بولادة ثقافة قاتمة ضعيفة عاجزة عن حمل رسالتها إلى العالمين .

([60]) دراسة منشورة –للمفكر/خالد بعيدات–عنوان–(دراسة في الفكر العربي).

ثالثا :دور الاستعمار:

ساهم الاستعمار الذي جثم فوق كاهل هذه ألامه لفترة ليست بالقصيرة في خلق حاله من الضعف في النظام العربي ككل متكامل دفعت به إلى التبعية التامة لهذه القوى المستغلة مما جعله ضعيفا هشا ليس له شخصيه مستقلة فكان لهذا الإستتباع اكبر الأثر على المشهد الثقافي العربي الذي بدا غائبا كل الغياب عن واقع مجتمعه وأمته واضعف دورة في الإسهام بنهضة ألامه وإخراجها من الظلمات التي غرقت بها لفترات ليست بالقصيرة .

رابعا :حالة التفكك التي تعيشها أمتنا:

إن حاله التفكك التي تعيشها امتنا نتيجة لتراكمات تاريخية طويل– سبق سرد جزء منها – أدت إلى غياب مفهوم للامه الواحدة المتجانسة التي تجمعها روابط اللغة والدين والتاريخ والنسب والمصير ، وطفت بدلا من ذلك على السطح ظواهر تنبئ عن حاله من التشرذم والتشظي والانقسام أسهمت في جعل كل عرق أو طائفة أو مذهب يبحث عن ثقافته الخاصة ويعطيها كل الاهتمام والاعتزاز وينسى – بل يتناسى- الثقافة الواحدة للامه الواحدة ، فنشأ فينا ما يسمى بالثقافة المجزئة أو المنقسمة ،فاضعف ذلك من شان الثقافة والمثقفين وقزم من دورهم في صناعه مجتمع القيم النبيلة المحترمة التي جاءت بها الرسالات السماوية التي تنادي باحترام الإنسان والإعلاء من قيمته لأنه محور الكون وأساسه .

خامسا :الظروف التاريخية:

لعبت الظروف التاريخية دورا بارزا في غياب العنصر الأساسي الذي تنشأ في ظله الثقافة وتترعرع وتقوم بما هو مطلوب منها على أتم وجه ألا وهو " الديمقراطية " لأنها ملاذ العقل ومنطلق الفكر ومنبر المنطق الذي يجعل من المجتمعات تنعم بقيم الحرية والعدل والمساواة من خلال حضور الثقافة وأهلها الذي ينهضون بهموم ألامه ويصلحون من شانها من خلال دورهم الذي لا غنى عنه .

سادسا :الفقر المعرفي لدي الطلبة والمثقف العربي:

الفقر المعرفي لدى المثقف العربي جعله يدخل كل جحر يسكنه المثقفون في أنحاء الدنيا – وخاصة الغربيين – مما جعله بتسول على أعتاب الثقافات الأخرى يأخذ منها ما تطرحه من أفكار لا تناسب واقعه وأمته وظروفه الحياتية فأصبح يجتر ثقافة الغير ينادي في تطبيقها في بلادة وعلى أبناء جلدته ،مما صنع جيلا من المثقفين بعيد كل البعد عن هموم أمته وواقعها بل انه أصبح ينادي باستعمار جديد من نوع جديد تهيمن فيه ثقافته القزمة وقيمه الرخيصة الباليه على مجتمعاتنا العربية والإسلامية فأصبح المثقف عاله على أمته بدلا من كونه عونا لها ،لان المفكر هو صاحب الدور الأكبر في التعبير عن أحلام وطموحات أمته – كما يقول د. خالد عربيدات "لأنه هو الذي يصنع ضميرها و يمثل عقلها فهو المسئول إذن عما لحق بها من تدهور بسبب الوعي الغائب عن رؤية صادقه وصحيحة وعما لحق بسياستها وأبنائها عموما من ضمور وعدم تبصر.

سابعا :التعليم ودورة في بناء المحصلة الفكرية للإنسان:

التعليم هو القاعدة الأساسية لبناء محصله فكريه لدى الإنسان،فمن الصعب أن تترعرع الثقافة وتنشأ في ظل أجواء من ألأميه والتخلف والرجعية العلمية – وان حصل ذلك تبقى ثقافته قزمة وهشة - ،وان نظرة متفحصة لواقع التعليم في بلادنا العربية – رغم ما يبدو للوهلة الأولى في المشهد الخارجي من تطور وتقدم في هذا المجال كازدياد عدد الجامعات والمدارس ودور العلم ومراكز البحث والتطوير – يصاب بالذهول والدهشة نظرا لارتفاع نسبه ألأميه وتخلف البحث العلمي وتدني الإنفاق عليه ، وعدم احترام العقول المفكرة بل دفعها إلى الهجرة وترك موطنها بحثا عن لقمه العيش أو عن الاستقرار النفسي أو الحياتي أو هربا من واقع سياسي بغيض لا يرحم ، انه سبب بارز في نشؤ أزمة المثقف والثقافة في بلادنا العربية .

ثامنا : انصراف المثقفين:

لقد انصرف المثقفين - رغم حملهم لهموم الثقافة- إلى البحث عن لقمه العيش في ظل أوضاع اقتصاديه مقيتة وانشغالهم برغيف الخبز قبل انشغالهم في الإبداع ، وصدق من قال :"قبل أن تسألني ماذا أبدعت اسألني هل شبعت " إن البطون الخاوية لا تفكر ، بل أنها تمقت الفكر والتفكير إنها معضلة العصر التي حرفت المثقف العربي عن دربه الصحيح وتراجع دورة العظيم في صياغة مستقبل ألامه وحمل آلامها وهمومها والإسهام في نهضتها ورفعتها وخاصة إن الثقافة هي أهم أدوات صنع التنمية في المجتمعات - وانشغاله بثانوية الأمور .

تاسعا : تضاؤل مساحه الحرية الممنوحة للفكر:

تضاؤل مساحه الحرية الممنوحة للفكر لينطلق من عقاله وذلك بسبب العلاقة التاريخية الصعبة بين المفكر والسلطان ،حيث أن انعدام ثقة احدهم بالأخر له الأثر الأكبر في خلق ثقافة ضعيفة وهشة وخاصة إن الأدوات التي يملكها السلطان هي دائما أقوى مما يملكه المثقف وخاصة في ظل غياب مقومات أخرى أو توفر عوامل مساعدة سبق الإشارة إليها ،إنها إشكاليه تاريخية لا نهاية لها .

عاشرا :اللغة ودورها في حماية الثقافة العربية:

اللغة هي الحصن الرئيسي والملجئ الآمن للثقافة وبدونها لا يمكن لامه مهما كانت قوتها أن تصنع ثقافة معبرة عن تراثها وحضارتها وتميزها ،وقد كانت اللغة العربية في ذات زمان هي الوعاء الذي استوعب كل ثقافات الدنيا بل أنها كانت مصدر الثقافات ،فهي لغة الشعر الذي عجزت عن نظمه كثير من لغات الأرض ، وهي لغة الأدب الذي تنعم في فيائه البشرية اليوم وهي لغة العلم الذي أسهم في صناعه التقدم التقني الذي افرزه فكر البشرية المعاصر.

لقد كانت بغداد ودمشق والأزهر والزيتونة والأندلس وغيرها من

عواصم الديار العربية هي حواضر للعمل ومراكز إشعاع للمعرفة والثقافة والفكر والإبداع ، إما اليوم فلا احد يستطيع أن ينكر تراجع الاهتمام باللغة العربية والعناية بها على حساب الاهتمام بالغات الأخرى ويتضح ذلك جليا من خلال مشاهدة حضورها في المحافل الثقافية الدولية وعلى قنوات الشبكات العالمية للمعلومات ،انه تراجع رهيب ينذر بخطر كبير قد تكون له أثار لا تحمد عقباها ،وهذا مظهر هام وبارز من مظاهر ألازمه التي تعيشها الثقافة العربية اليوم ،يستدعي منا جميعا النهوض بهمه عالية لمواجهته .

إن ما أوردته من ملامح لازمه الثقافة العربية هو فيض من غيض،ليس الهف منه السرد فقط بل لعله يكون الحافز والدافع نحو النهوض من الكبوة ومعالجه مكامن الخطر والخطاء لإصلاحها ، وخاصة أن أهم مميزات امتنا أنها أمه مرنه قابله للتأقلم مع الظروف والتكيف مع المستجدات لأنها أمه قد تنام ولكنها لا تموت فسيأتي زمان العرب وستنهض ألامه من كبوتها وتصحو على ثقافة عريقة تستمد معاصرتها من أصلتها لا تتنكر لماضيها وتحترم حاضرها وتبني لمستقبلها وتؤسس لتاريخ جديد فيه من الإشراق واللمعان ما يخطف أبصار الطامعين ويعمي أعين الحاقدين.

المبحث الثاني
الثقافة العربية وتحديات المستقبل.

إن التغيرات التي عاشتها وتعيشها البشرية وخصوصا منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم وخاصة التطورات الهائلة التي حدثت في العقد الأخير من القرن الماضي والتي أفرزت نظاما عالميا جديدا ومرحله إنسانيه جديدة هي العولمة وما ظهر من ثورة هائلة في نظم الاتصال والمواصلات والتطورات التقنية الهائلة كلها عوامل كان لها اكبر الأثر في تشكيل تحديات من نوع جديد ينفرض على واقع الحياة العربية وكان أكثرها تأثرا هو الثقافة لأنها روح ألامه وهويتها ،وقد نستطيع أن نجمل هذه التحديات في نقاط سريعة نعطي لها بعض التفصيل وذلك للمزيد من المعرفة حولها مع تصورات واقتراحات لما يجب أن نقوم به لنستوعب هذه التغيرات المتسارعة من حولنا لندخل في ركاب الإنسانية ولا نبقى حبيسين في ذواتنا منغلقين عما يدور حولنا ، ولعل من ابرز هذه التحديات ما يلي:

أولا: الثورة الهائلة في التكنولوجيي:

والتي شملت نظم الاتصال والمواصلات والتي جلبت معها أنماط جديدة من الثقافة –وخاصة المرئية - والتي أصبحت شبكه الانترنت والفضائيات أهم أدواتها بما تحتويه من معارف –ثقافة - رقميه كان لها الدور البارز في إنتاج ما سمي (بالثقافة الرقمية) ، وهنا يبرز التحدي الأكبر أمام ثقافتنا العربية لكي تثبت ذاتها وتظهر على السطح بقوة إمام هذا العملاق المعرفي الهائج الذي يلتهم الأضعف ويبقي على الأقوى.

وإن المراجع لمصادر ثقافتنا العربية يرى أنها تنطلق من ركائز شديدة القوة والمتانة لأنها ثوابت لا تقبل التغيير ولكنها تستوعب الآخر بما يحمله من ثقافة ومعرفه وعلوم ،واهم هذه الركائز هي "القرآن وألسنه" اللذان يشكلان مصدرا يعجز اللسان عن وصفه من مصادر الثقافة والمعرفة والعلم والأدب والفلسفة ، وتشكل اللغة العربية مركزا أخر لا يقل قوة عن هما

وذلك لأنها لغة القران الكريم وأداة خطابه ووسيلة الثقافة التي أرادها الله للعالمين والتي لديها القدرة على استيعاب كل معارف وعلوم الدنيا ، وهذا الكلام ليس تبجحا لان التاريخ شاهد عليه حيث استطاعت اللغة العربية أن تستوعب علوم الرومان واليونان والقدماء أجمعين وتترجمه وتضعه على طبق من ذهب كإرث حضاري يغني المعرفة الإنسانية ويزيد ها رسوخا وشموخا .

إن التقنيات الحديثة تفرض علينا أن نجعل من لغتنا أداة للمعرفة على نوافذ شبكه الانترنت العالمية ليطلع الآخرين على نتاجنا ومعرفتنا ولنفرض أنفسنا على الساحات الثقافية والعلمية والمعرفية العالمية وذلك بعد غياب طويل ،إننا قادرون على استيعاب كل مضامين العلوم والمعارف وتضمينها لغتنا القوية وجعلها أسس لثقافة جديدة تؤسس لعموم ومعارف رقميه يجب أن تكون في متناول ومقدور كل واحد من أبناء ألامه .

ثانيا: عولمة الثقافة وثقافة العولمة:

لا شك أن عولمة الثقافة وثقافة العولمة هي من اكبر التحديات المعاصرة لثقافتنا العربية وهي لا تنفصل بالضرورة عن النقطة السابقة وذلك لان التطورات التقنية هي إفراز كبير من إفرازات العولمة وأداة من أدواتها فبغير التكنولوجيا المتقدمة لا تستطيع العولمة تحقيق أهدافها والتي نمن أهمها صهر الكرة الأرضية كلها في منظومة واحدة من القيم والمفاهيم وإلغاء الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادي ، وخاصة أن بلادنا العربية مستهدفه سياسيا واقتصاديا وكذلك ثقافيا ،فهناك هجمة قويه على الثقافة العربية من جوانب شتى تهدف إلى تغييب المشهد الثقافي العربي عن الحضور الدولي والإسهام في مسيرة الحياة الإنسانية ، وان خير ما نورده هنا هو ما قاله **د. نبيل علي** "بان الثقافة العربية والإسلامية تتعرض إلى التشويه والإساءة باستخدام الإنترنت دون أن يتاح لنا الدفاع عنها ونشرها وتسويقها بسبب عدم مواكبة المعلوماتية فمواقع الإنترنت العربية (سواء كانت باللغة العربية أو اللغات الأجنبية) هي في الغالب ساذجة ومحدودة ولا

تكاد تساوي شيئا بالنسبة للمواقع الأجنبية " ، وهنا لابد من التمسك بالثوابت والخصوصية مع الأخذ بما هو جديد ومواكبه كل تطور واستيعابه ضمن المنظومة الثقافية العربية .

ثالثا: النظام الدولي الجديد:

النظام الدولي الجديد وتغير وجه العلاقات الدولية هو من اكبر التحديات التي تواجه الثقافة العربية ، حيث تغير وجه التاريخ بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي وغيابه كعملاق يحفظ التوازن عن الساحة الدولية ،كل ذلك كان له الدور الأكبر في بروز وظهور أشكال جديدة من الثقافة أهمها كما اشرنا الثقافة الرقمية وثقافة الصورة التي تبهر الألباب وتسحر الأنظار ، وأيضا نشؤ مفاهيم ثقافية جديدة تقف كالجبل الشامخ في وجه الخصوصيات هي أيضا ما اشرنا إليه وهو ثقافة العولمة التي لا تهدف إلا إلى نشر وترسيخ مفاهيم وقيم الثقافة الغربية وإلغاء العقول الأخرى وأهمها العقل الشرقي والعربي خصوصا ، وخاصة في ظل النداءات الكثيرة التي بات العالم يصحو عليها كنهاية التاريخ وصراع الحضارات التي ليس لها نتيجة إلا سيادة النمط الغربي الحضاري وانتصار القفاه والحضارة الغربية باعتباره نهاية المطاف الذي ليس بعدة بعد.

رابعا: التحديات الداخلية:

إن التحديات الداخلية التي تنبع من جسم ألامه ذاتها والتي ابرز ضعف إرادتها وشخصيتها وخضوعها وتبعيتها لغيرها ، وبروز ظواهر مرضيه مقيتة في جسدها أهمها النزاعات العرقية والمذهبية والطائفية والحزبية والتي لا تؤدي إلا إلى انشغالها عن الحفاظ على ثقافتها التي هي الحصن الأخير الذي تحتمي فيه هويتها كأمه خالدة ذات رسالة إنسانيه مقدسه.

ساهم ذلك كله إلى تفكيك أوصالها وضعف قوتها فعاد لها الاستعمار من جديد بأثواب مختلفة ومسميات جديدة أهمها إقناع المواطن بأنه مهضوم الحقوق ومسلوب الإرادة ومكمم الفم ولابد من إنقاذه وحمايته ونشر

قيم الحرية والتسامح وحقوق الإنسان في ربوع أرضه ، رغم أن كل هذه القيم هي جزء أصيل من ثقافته وحضارته وبنائه الكلي ،ولكن يبدو أن النتيجة كانت عكسية حيث ازداد العنف والتطرف والإرهاب والاقتتال والانقسام والانشغال عوضا عن التقدم والنهوض مما ساهم في تراجع دور الثقافة على حساب أولويات أخرى سياسية واقتصاديه .

مقترحات:

إن مهمة الباحث هي وضع هذه التحديات أمام القارئ العربي الكريم على اختلاف مستواه الاجتماعي وموقعه ومركزة الوظيفي أو الثقافي لعله يساهم وبالقدر الذي يستطيع في الحفاظ على ما تبقى من ارثنا الثقافي العظيم ويسهم أيضا في محاوله استنهاض الهمة لبناء ثقافة عربيه معاصرة تمزج ما بين الأصيل وتحافظ عليه ولا تفرط به وما بين المعاصر وتستوعبه وتصهره في بوتقتها القادرة على ذلك من اجل الخروج من عنق الزجاجة الذي استعصى منه الخروج ولعل حاله الولادة المتعسرة التي تعاني منها ثقافتنا تنتهي على خير وسلام ،وفي هذا المقام ولكي نقوم بدورنا لابد من طرح بعض الاقتراحات والأفكار التي تنطوي على بعض الحلول علها تصل إلى مسامع وأنظار من كان لديهم القدرة على تحويلها من كلمات نظريه إلى وقائع عمليه تسهم في نهضة الثقافة العربية وتعيد لها رونقها وتألقها ،ومن هذه الاقتراحات نذكر ما يلي [61]:

1.الاستفادة القصوى من الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت) وذلك لبناء ثقافة عربيه جديدة تواكب المستجدات العالمية السريعة القائمة على سرعة الاتصال والتواصل وخاصة إذا ما علمنا ضعف وقله وسذاجة وهامشيه المواقع العربية على شبكه الانترنت ، وكذلك غياب اللغة العربية عن نوافذ المعلومات على هذه الشبكة مقارنه بغيرها من اللغات حيث أن 88٪من

([61]) د.نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسله عالم المعرفة، الكويت، 2001

المضامين التي تبث عبر شبكه الانترنت هي باللغة الإنجليزية و 9 ٪باللغة الألمانية و 2٪بالفرنسية ، و 1٪بباقي اللغات العالمية فما هو نصيب اللغة العربية من هذه النسب؛لابد إذن من السير إلى ما يسمى بالثقافة الرقمية التي أصبحت تقوم على نشر ثقافة العلم والمعرفة التقنية ومزج التراث بالثقافة وبالتقنية المتقدمة وتكوين الوعي العلمي ونشر الثقافة العلمية بين الأفراد.

2.الانفتاح على الثقافات الأخرى وتعميق ما يسمى بالتلاحق الحضاري والاستفادة التامة من معطيات الثقافات الأخرى والاستفادة مما لدى الآخرين من رصيد ثقافي وحضاري واستيعابها ضمن منظومة الثقافة العربية وذلك لان الانطواء والانكفاء والانكماش لا يولد سوى التخلف والتراجع والتقهقر عندها يتقدم الآخرون ونبقى نحن على ما نحن عليه ،وخاصة أن التقارير تشير إلى وجود فجوة حضارية هائلة بيننا وبين العالم وخاصة في موضوع الترجمة التي تعتبر الوسيلة الأساسية للإطلاع على ثقافة الآخرين حيث تبين التقارير أن نصيب العرب من الترجمات خلال الفترة من عام 1970- 2008 ثمانية آلاف عنوان من أصل مليون ونصف المليون عنوان تقريبا وان العالم العربي يترجم سنويا حوالي 330 كتابا أي بمعدل كتاب لكل مليون شخص مقابل 519 كتاب في المجر و 920 كتاب في أسبانيا لكل مليون شخص[62].

ولقد قدر بعض الباحثين أن مجموع ما ترجم إلى العربية منذ عصر المأمون اليوم بنحو عشرة آلاف كتاب وهو ما تترجمه أسبانيا في عام واحد " إن هذه الأرقام مذهله بل هي مخيفه لأنها تكشف عن مدى قصورنا في الإطلاع على ثقافة الآخرين وعلومهم ، بينما لو قارنا ما ينفق على البذخ والترف والأمور الثانوية من أموال لوجدناها تفوق ما ينفق على البحث العلمي والترجمة والنشر والتأليف مئات بل ألوف المرات !!!.

3. النقد الذاتي والمراجعة المستمرة لواقع الحال وتصحيح الأخطاء وتلافي

([62]) محمد جابر الأنصاري ،انتحار المثقفين العرب وقضايا راهنه في الثقافة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1998.

السلبيات قدر الإمكان وذلك لأنة النقد الذاتي من أفضل سبل التصحيح والتجديد إلى الأفضل .

4.إن من أعظم سبل تطوير الثقافة وإعادتها إلى تألقها هو توفير الأجواء والمناخات المناسبة للعقل العربي لينطلق من عقدته ويحلق في فضاءات العلم والمعرفة وذلك في إطار أجواء من الديمقراطية الحقيق وحرية الفكر وحرية الرأي والتعبير .

5. الثقة المطلقة والإيمان العميق لكل القائمين على شؤون الثقافة العربية بان هذه ألامه وثقافتها وحضارتها لا تندثر ولا تضمحل ولا تختفي ولا تموت حتى وان أصابها الخلل والقصور فان هذا الحال لن يدوم وان الثقافة العربية كما هي ألامه العربية ستنهض ذات يوم من كبوتها وتعود إلى مركز الصدارة في القائمة الإنسانية[63] .

وأخيرا وليس أخرا يجب أن نعلم جميعا أن الزمان يتطور وان الدنيا تتغير وان التحديات تختلف ما بين زمان وأخر، لذا فان تحديات الثقافة العربية تختلف من زمن إلى أخر ومن عصر إلى أخر؛ فالثقافة لم تعد مشكله كتاب أو مجله أو محطة فضائية بل أنها أصبحت تحتاج إلى جهود المجتمع كله بقطاعاته المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والعلمية سواء كانت رسميه أم شعبيه ومؤسسات مجتمع مدني وقطاعات خاصة لتتضافر معا وتسهم في تطوير وبناء النسق الثقافي المتين.

([63]) صحيفة الرأي الأردنية، العدد 13358، تاريخ 29 /2007/4، ص 2.

obeikandl.com

التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا العربية

المبحث الأول

التحديات التي تواجه اللغة العربية في أوطانها

تواجه العربية جملة من التحديات التي تعاني من أجلها نوعاً من العزلة عن الحياة اللغوية.

وأول هذه التحديات عزلة اللغة عن الاستعمال العام، حيث حلت اللهجات العامية محلها وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين العرب ونتج عن ذلك نشوء مجموعة اللهجات المحلية التي تختلف من بلد لآخر داخل القطر الواحد، فإذا كان عدد البلاد العربية اثنتين وعشرين دولة هي مجموع الأعضاء في جامعة الدول العربية، فإن لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية، وعندنا في مصر ـ مثلاً ـ لهجة مشتركة بين جميع المواطنين، ولكن صعيد مصر (الوجه القبلي) له لهجته الخاصة المتميزة، كما أن للدلتا لهجتها المتميزة.

وقد يكون لمواطني الإسكندرية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛غير أن مجموع المواطنين في مصر يتفاهمون بالعامية المشتركة التي تتبناها أجهزة الإعلام، وتنشر بها رسالتها، سواء في ذلك الإذاعة والتلفزيون وأفلام السينما؛وهكذا الحال في كل قطر عربي، غير أنهم يقتربون من اللغة الفصحى عند مستوى ثقافي معين، فيخلطون مستوى الفصحى بمستوى العامية، وتنشأ عن ذلك لغة (فصح عاميه)، أي: خليط من الفصحى والعامية، وهذا الخليط يختلف نسبياً من دولة إلى دولة.

وإن كانت كمية الاختلافات قليلة، نظراً إلى انتشار وسائل الإعلام التي تستخدم في أحيان كثيرة المستوى (الفصح عاميه)؛ ولسنا نستطيع أن نتجاهل عاملاً خطيراً من بين عوامل عزل الفصحى، وهو استعمال المشتغلين بالتدريس في

المدارس العامة (حتى نهاية المرحلة الثانوية) للهجات، أو لمستوى رديء من الفصح عاميه [64].

وقد نتساءل بعد ذلك عن حقيقة (الفصحى) ما هي ؟ وغاية ما يمكن أن نقوله هو : أنها مستوى من الأداء اللغوي ملتزم بالنمط القرآني، حفاظاً على شكل الكلمة العربية وزناً ومعنى، ووصلاً ووقفاً وضبطاً والتزاماً بالمعجم الذي يشير إلى الجائز والممتنع، مع عدم تجاهل ما أوصت به المجامع العربية اللغوية؛والقرآن الكريم هو دستور اللغة الفصحى المعاصرة، ولاسيما في أدائه المتميز، فيما عدا الالتزام بأحكام تجويده.

ونحن بهذا التعريف لا نشق على الناطقين بالفصحى، لأن حفظ القرآن يطلق الألسنة الحافظة (العربية) بنمط الأداء القرآني دون أدنى مشقة؛ وللقرآن - كما نعلم - دور في الحفاظ على الفصحى والإبقاء عليها رغم كل عوامل الإحباط التي تحوطها، حتى لقد كادت أن تتحول إلى لغة خاصة، أو بالأحر لغة أرستقراطية، لا يستعملها إلا من تتوفر فيهم مواصفات أدبية وعقدية معينة.

ولعل من عجائب القرآن أن تقوم بحفظ وإتقان أدائه ألسنة أعجمية لم تذق حرفاً عربياً، ومع ذلك نجد أطفالاً وشباباً، ذكوراً وإناثاً يحفظون عن ظهر قلب، بل ويجيدون أداءه بأحكام التجويد، وهم لا يفهمون جملة واحدة من جمله، أو آية من آياته ؛قد شاهدت في ماليزيا مسابقة لحفظ القرآن الكريم وإتقان أدائه، واستمعت إلى شابة في ربيع العمر تقلد أحد قراء مصر المشهورين، وهي مع ذلك لا تعرف شيئاً من العربية، إنني أزعم أن هذا التجلي لم يتحقق لنص في أية لغة من لغات العالم ما عدا القرآن، رغم ضخامة حجمه، ودقة أحكامه.

([64]) د/عبد الصبور شاهين-محاضرة له بعنوان"التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة- الخميس2006/9/9

ويجد ربنا الإشارة إلي أنه قد يكون لمواطني البلدان العربية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في الكليات التي تهتم بتعليم اللغة العربية للعامية (اللهجات المحلية)، وليس ذلك من باب المبالغة أو التجني، فنحن لا ننكر وجود أساتذة يحترمون اللغة الفصحى، ويلتزمون بأدائها في محاضراتهم. وفي مقابل هؤلاء نجد بعض من يدرسون مادة (النحو العربي) ويستخدمون اللهجات العامية في مخاطبة الطلاب بقواعد النحو وسائر علوم العربية.

فإذا كانت هذه هي الحال في كليات الآداب، وبخاصة في علوم العربية، فإن الحال أسوأ في سائر الكليات التي تتخصص في الفنون والعلوم المختلفة، بحيث لا يسمح للعربية أن تدلف إلى قاعات المحاضرات والبحوث. وربما جاز لنا أن نقول: إن جماهير الأساتذة في علوم الهندسة والطب والحقوق والعلوم والزراعة والفنون التشكيلية، والمواد التربوية وغيرها من الكليات الأخرى هؤلاء جميعاً لا يعرفون شيئاً من قواعد العربية الفصحى، وممارسة الحديث بها؛وهذا تصوير غير مخل للوضع الذي تواجهه الفصحى في أوطانها العربية، فهي لا تجد لخطواتها مكاناً يسعها، اللهم إلا في بعض خطب الجمعة ـ على قلة ـ فأما مجالات الخطاب الجماهيري، كمجالس النواب والشورى والمجالس القومية المتخصصة فقد أخلصت ولاءها للعامية، وخاصمت الفصحى قولاً واحداً.

وعلينا أن نتصور الجهد الهائل الذي بذله المعلمون لتطويع ألسنة التلاميذ كي تنطق بالأصوات والتراكيب التي لا تألفها في لغاتها الأصلية؛ وقد شهد التاريخ إبان زحف الفتح الإسلامي لأقطار آسيا من أدناها إلى أقصاها، شهد جهوداً بذلها المجاهدون الذين حملوا الإسلام إلى تلكم الأقطار، ونشروا راية القرآن، وعلموا تلك الشعوب خصائص اللسان العربي، حتى استبدلته بلغاتها الأصلية، وبرزت جماعات العلماء من أبناء تلكم الأقطار البعيدة، وقد نبغوا في فنون العربية، وصاروا أئمتها، الذين يفتون في

مشكلاتها" كسيبويه، وابن سينا، والفارابي، والبيروني، والرازي وغيرهم" آلاف من العلماء العباقرة، تنطق آثارهم بعظمة ما استكن في قلوبهم من حب للعربية وولاء للقرآن.

ولقد مرت على الشعوب الإسلامية في آسيا قرون لا تعرف لها لساناً تتخاطب به غير العربية على حين توارت اللغات القومية كالأردية، والأفغانية، والتركستانية والاندونيسية، وغيرها، وسادت رموز الكتابة العربية؛ولقد أدرك أعداء الإسلام أن حربهم ضده يجب أن تعتمد على محاربة اللغة العربية، وإحياء اللغات القومية، سعياً إلى تقليص وجود القرآن، وتهميش عقيدته.

ولقد تحقق لهؤلاء الأعداء ما خططوا له، إبان العهد الاستعماري، والمرحلة الشيوعية، فارتدت أغلبية الشعوب الإسلامية إلى أحلامها القومية، وانتشرت فيها لغات المستعمرين، كالإنجليزية والروسية وتوارت العربية وضعف شأنها تبعاً لضعف شأن العرب في أقطارهم.

بل إن العرب أنفسهم قد تخلوا عن لغتهم، وعزلوها عن موضوعات الحضارة، واستخدموا بدلاً منها لغة المستعمر كالإنجليزية والفرنسية، ولاسيما في المجالات العلمية كالطب والهندسة والعلوم والرياضيات.

بل لقد اغتربت العربية في أوطانها، حتى صار التعليم العام، من أول مراحله يستخدم الإنجليزية، وصار التعليم بالعربية مقتصراً على بعض البيئات المتواضعة مادياً؛ومعنى ذلك أن البلاد العربية تزداد تخلفاً من الناحية المادية، فليس لها دور في إنتاج شيء جديد، ولا دور للعربية في تسمية منتج جديد. وهكذا آل أمرها إلى الفقر الشديد.

المبحث الثاني
التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات العربية

يحتل الكتاب والمناهج المدرسية في العالم العربي أهمية كبيرة في تشكيل ثقافة ووعي الطلاب العرب وتتزايد تلك الأهمية في الوقت الحالي الذي يشهد هجمة قوية على المناهج والمقررات الدراسية العربية، وتتهمها بأنها تدعو للعنف والتطرف، ويعتبر تدريس اللغة العربية من أهم القضايا التي تشغل أساتذة التربية باعتبارها اللغة التي تعبر عن هوية الأمة العربية الإسلامية، وتمثل حمايتها واجبًا على الجميع لوقف زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.

وحول "اللغة العربية في التعليم العام" أقامت كلية (دار العلوم بجامعه القاهرة) مؤتمرها السنوي الذي أكد على ضرورة الاهتمام باللغة العربية في المناهج الدراسية العربية، وعدم تدريس اللغات الأجنبية في المراحل الدراسية الأولى، وتعريب العلوم ليدرسها الطلاب بلغتهم القومية؛كما أشار المؤتمر إلى أن هناك فجوةً بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس، وطالب بضرورة ردم هذه الفجوة فورًا حتى تستطيع النظم التعليمية في العالم العربي مواكبة التطور الكبير الذي يشهده العالم.

ولقد أشارد/ علي عبد الرحمن يوسف" رئيس جامعة القاهرة" إلى ضرورة الاهتمام باللغة العربية في مراحل التعليم العام والفني باعتبارها لغة القرآن والحضارة، مشيرًا إلى ضرورة توصل المؤتمر إلى أطر للسياسة العامة في التعليم، ويشمل الكتاب المدرسي ومادته، وأهداف تعليم اللغة العربية، وتقويم الامتحانات والاختبارات في التعليم العام، مؤكدًا أن مشكلات التعليم واحدة في الدول العربية؛ويؤكد د/ علاء الدين عبد المحسن شاهين"عميد كلية دار العلوم- بجامعة القاهره" إلي ضرورة التحام السياسة بالتعليم- وأن تبادل الجامعات العربية والمسئولين عن التربية

والتعليم الخبرات لإنقاذ التعليم العربي من المشكلات التي يُعانيها، مشيرًا إلى أن الوقت الحالي يفرض إعادة دراسة وتقييم الكتب المدرسية وأهداف تعليم اللغة العربية، وأوضاع معلمي اللغة العربية التي لا ترضي أحدًا، مؤكدًا أن حماية اللغة العربية وتدريسها بشكل جيد أصبح فرضًا على جميع المعنيين والمتخصصين في العالم العربي.

ويضيف أن التعليم أصبح حلبة الصراع بين الدول المتقدمة لتحقيق التفوق، مشيرًا إلى أن أزمة التعليم التي يُعانيها العالم العربي في ظل ثورة المعلومات التي تجتاح العالم تفرض التحرك بسرعة وفعالية للحاق بركب هذه الثورة، وأكد أن مَن يفقد مكانته في هذا السباق العلمي والتكنولوجي فمن المؤكد أنه سيفقد إرادته في أقرب فرصة؛وأكد أن اللغة العربية هي رمز الهوية والاستقلال في عالم تتزايد فيه الضغوط ومحاولات طمس الثقافة الوطنية للعالمين العربي والإسلامي، موضحًا أن العربية هي التي تربط بالتاريخ العربي والإسلامي، وأنه لن يتحقق للعالم العربي نهضة تعليمية شاملة دون الاعتزاز بلغتنا القومية؛مشيرًا إلى أنه ليست هناك دولة حققت سيادة واستقلالاً وإرادة دون لغتها القومية.

وأشارت الدكتورة "نادية جمال الدين" إلى دور الأسرة الجوهري في عملية التعليم؛ حيث تعتبر السنوات الست الأولى هي الأساس في تعليم الإنسان، الأمر الذي يفرض توجيه الأسر عناية أكبر بتعليم أبنائها خلال تلك هذه الفترة وما بعدها، وأضافت أن 13٪ فقط من الأطفال المصريين ينتظمون في "رياض الأطفال" في حين أن باقي الأطفال لا يتلقون أيَّ رعاية قبل دخول المدرسة، وطالبت بأن تكون مرحلة رياض الأطفال إلزامية؛وأضافت أنه في الوقت الذي أشارت فيه الدراسات إلى أن 50٪ من لغات العالم مهددة بالاندثار مع نهاية القرن الحالي فإن ذلك يفرض اهتمامًا أكبر باللغة العربية، منتقدة دور وسائل الإعلام، التي تقدم عددًا كبيرًا من أنواع التلوث اللغوي.

وطالب الدكتور "مصطفى الشكة"- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -بإغلاق مدارس اللغات التي أثرت بشكل كبير على مستوى اللغة العربية لدى التلاميذ، منتقدًا تدريس اللغات الأجنبية في سنوات الدراسة الأولى، وأشار إلى ضرورة أن يتعلم الطالب مواد باللغة العربية ثم يدرس اللغات الأجنبية بشكل مستقل حتى تؤثر تلك اللغات على مستوى التلاميذ في اللغة العربية.

ولقد أشار "د/سعيد بن محمد آل يزيد"- الأستاذ بكلية المعلمين بالسعودية- إلى أهمية دراسة علم النحو باعتباره ركيزة أساسية يقوم عليها البناء التعليمي بأكمله، فمتى استقام لسان الطالب في التعليم الإلزامي فلن يعوج بعد ذلك؛وأوصي بإتاحة الفرصة لأساتذة النحو في تقويم الطلاب شفويًّا وتحريريًّا، وزيادة عدد الساعات المقررة لدراسة النحو والصرف؛وأشار إلي أن وسائل الإعلام التي ساهمت في تكوين صورة سلبية عن معلم اللغة العربية مسئولية عن تغيير تلك الصورة فورًا، فضلاً عن دور الأسرة والمعلم نفسه في تثقيف نفسه ذاتيًّا وتطوير أدواته، وطالبت الدراسة بضرورة إعداد مؤسسات فاعلة قادرة على تأهيل المعلمين ثقافيًّا وتربويًّا ولغويًّا بشكل يؤهله لتدريس اللغة العربية بصورة مناسبة.

وأشار الكاتب الصحفي "أحمد يوسف القرعي": إن وضع السياسات من جانب وزارة التربية والتعليم في مصر ليست كافية لإصلاح أوضاع التعليم؛ لكن يجب أن يكون التنفيذ بصورة جيدة تتماشى مع طموح الأمة العربية في الوقت الحالي، وطالب بمشاركة المجتمع كله مع المدرسة في تنفيذ السياسات التعليمية وعدم انفراد الوزارة بتنفيذها.

وأشار الدكتور "كمال بشر"- أمين عام مجمع اللغة العربية- إلي طريقة تدريس اللغة العربية في المدارس وأوضاع معلمي اللغة العربية، وتساءل كيف تظهر اللغة العربية ببناء متميز في ظل واقع سياسي واقتصادي واجتماعي متردٍّ، مشيرًا إلى أن هناك كارثة موجودة في طريقة تعليم اللغة

العربية منذ سنوات عديدة، وستستمر إذا ظلت الأوضاع دون تغيير، وشرح أبعاد تلك الكارثة قائلاً: إن مدرس اللغة العربية يتحدث بالعامية داخل الفصل في المدارس؛ بل وفي أقسام اللغة العربية بالجامعات، فضلاً عن مستوى هؤلاء المدرسين الضعيف أصلاً في اللغة العربية؛ وأشار في هذا الصدد إلى خطورة تعدد الجهات التي تخرج مدرسي اللغة العربية من كليات التربية ودار العلوم والأزهر والآداب؛وأضاف أنه لا أمل لإصلاح أوضاع اللغة العربية في ظل معلم جاهل وكتاب عقيم.

ومما سبق يتضح لنا أن التحديات التي تواجه اللغة العربية في الدول العربية وهي كما يلي:

3. زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.
4. تدريس اللغات الأجنبية في المرحل الدراسية الأولي من حياة الطفل العربي.
5. الفجوة بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس.
6. عدم تقييم الكتب الدراسية والانصراف عن أهداف تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات.
7. طريقة تدريس اللغة العربية في المدارس والأوضاع السيئة لمعلمي اللغة العربية.
8. تحدث معلمي اللغة العربية باللغة العامية داخل حجرات الدراسة.
9. تعدد الجهات التي يتخرج منها مدرسي اللغة العربية.
10. عزل اللغة العربية عن الاستعمال العام.
11. إحلال اللهجات العامية محل اللغة العربية وسيادة اللغة الفصح عامية محل اللغة العربية.
12. سيادة اللغة العامية في مجالات الخطب الجماهيرية كما في مجالس النواب ومجلس الشعب.

المبحث الثالث
خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي

تعتبر مسألة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديدا فقد وعت الدول الغربية العظمى إلى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها بل ويقض مضاجعها فبدأت بوضع وتكريس كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للفكر العربي من خلال إعلام صنعته لغرض تغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشاهده.

فمما لا شك فيه أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته قد أحرز نجاحاً باهراً في جميع المجالات وهو من أقوى وسائل الإقناع الذاتي في أتباع الأسلوب الهادئ والرزين دون اللجوء إلى العنف؛ لكنه في نفس الوقت أنفذ إلى القلوب من السهام وأشد وقعاً على النفوس، إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب وهيكل أخاذ إضافة إلى مجموعات الإثارة الكاملة والمواد الغزيرة والمعلومات المتدفقة إلى ما لا نهاية، من التصوير والإضاءة وما شابه؛ فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه إلى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة، والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قد قطع شوطاً مهماً في سبيل ذلك؛ولكن هل نصدق كل ما يقوله الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين وأنه من نتائج(صدام الحضارات) الذي يدعو إليه ساسة الغرب ومفكروه، وأن الحملات الإعلامية المتعاقبة التي لا يكاد ينجو منها بلد مسلم ليست إلا وجهاً من وجوه حرب الإساءة والتشويه التي اعتمدتها سلاحاً ماضياً في صراعها.

إنه قوة هائلة لا قبل لنا بها كاسحة في التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشعوب ما تشاء من الصور، لا تبالي في ما تتناوله من أحداث العالم بالعرض والتحليل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في

إيصال ما تريد وترغب وقد لعبت ثورة الاتصالات دورا كبيرا في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح فبعد أن كان توزيع الصحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به جاءت وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صناعية وإنترنت لتلغي حدود الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، فشعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه من الإعلام الغربي مع كثير من التحريف والتضليل والإساءة ، وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج الواقعيّة المعربة من البرامج العالمية، وأظهرت الدراسة (الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليليّة لبرامج الفضائيات العربية) التي أعدها "د/يأس خضر البياني" (65)

أظهرت أن وسائل الإعلام العربية شاركت في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال ما تعرضه من البرامج الغربية،وبالأخص ما يسمى ببرامج (تلفزيون الواقع) من دون أن تضع تلك الفضائيات بالحسبان قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية فمنذ متى تعرض الفضائيات العربية برنامج تقوم فكرته على عرض فتيات للزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم وهذا ما تقوم عليه فكرة برنامج (على الهوا سوا)الذي بثته إحدى القنوات الفضائية ولاحظت الدراسة من خلال الإحصائيات العلمية الجديدة، بأن برامج القنوات الفضائية العربية تقتصر على المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافعيّة الانحراف، وكلها مفردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.

---

(65) الأستاذ في كلية المعلومات والإعلام والعلاقات العامة بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجي.

هذا بالإضافة إلي أن الأطفال والمراهقين والشباب يتأثرون بنتائج هذه الثقافة الإعلامية، ومن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكيّة، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية وازدياد اليأس والإحباط.

ووجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية، وبالذات الخاصة، بدأت تتسابق علي إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب، واجتذابها لهم بأي صورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية فمثلا أصبحنا نرى على الفضائيات الأغنية المصورة أو ما يسمى (بالفيديو كليب) وما يرافقها من مشاهد خلاعة تجعلنا ننسى أننا نتابع أغنية ذات مضمون ومعنى، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليد الأعمى لهذا المضمون الهابط فمثلا أصبحت الفتاة تقوم بحركات المغنية الفلانية أو تختار ملابس شبيهة بملابس الفنانة الفلانية وكأنهن اتخذن تلك الفنانات قدوة لهن في كل شيء وأشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه إلي هذه الظاهرة على أنها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات أبرزها ضرورة الاعتراف بان انفجار المعلومات والمنجزات التقنية في زمن العولمة لا يلغي الحقيقة بأن الثورة الحضارية ينبغي استيعابها وتقبلها بوعي حضاري واستيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين علي الاستفادة منها، بمعنى اقتناء المفيد من المعلومات والبرامج وأخذ ما يتناسب مع واقعنا العربي وأهمية تعميق وعي الشباب العربي وثقافته

وممارسته للديمقراطية وتعويده على التعامل الحضاري مع المعلومة بايجا بياتها وسلبياتها، إضافة إلي أهمية وضع خطة إعلامية من قبل الدول العربية تأخذ مسارين:

- الأول :خطة إعلامية لمواجهة الغزو الإعلامي والثقافي.
- الثاني :خطة إعلامية لتحصين الشباب.

بمعنى أن مواجهة الغزو لابد أن تستند على خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الإعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، وتطوير وسائل الإعلام الوطني ومضامينه، كذلك تأتي مسألة الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي من أولى المسائل التي أخذت الحيز الكبير لدى الباحثين نتيجة الأثر الواضح الذي خلفه هذا الغزو في البلاد العربية والإسلامية والذي قامت على نشره وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها الصهيونية والتبشير والاستعمار والأيديولوجيات المعادية للإسلام كالديموقراطية الليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة فنتيجة الصحوة الإسلامية المعاصرة تفاقمت نزعة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه، وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئه عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهة، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للعرب من جهة أخرى.

والمؤسف أن بعض المفكرين يرفضون مصطلح الغزو الثقافي أو الفكري لأن (الغزو) مصطلح عسكري، ويطالبون بأن نتحدث عن (استيراد) فكري أو إيديولوجي بمعنى التفاعل مع الغرب، ولهذا فإن الحديث عن (الغزو الفكري) في رأيهم يعني الانغلاق على الهوية، وهو ما يجب أن يتحاشاه المسلمون، ولكي نوضح أن ما يحدث هو غزو وليس تبادلاً فكرياً نورد بعض أشكال وأساليب هذا الغزو حيث نجد أن أهم ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام هو عرضه الخبيث للفارق بين واقع المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي، فهم يصورون الغربي على حالة من

الرفاهية والنعيم التي يصعب على المسلم أن يصل إليها، ويصورونه في حالة من الحرية والرخاء وحرية القول والعمل، بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية.

وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفاهيم في الأذهان وكأنها أمر واقع لا سبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة، ولنعترف بأن هذه المفاهيم المغلوطة قد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحياة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار- فصل الدين عن الدولة - أو تلغي دوره من الحياة أساسا، فهو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم، بل ينظر إليه باعتباره سبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل " الدين أفيون الشعوب " و "الدين ضد العلم".

ويمكن أن نعدد أيضا من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

1. توظيف السينما والتلفزه، فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة العرب والمسلمين، ويومياً تبث القناوت الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلفهم .

2. توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقولنا .

3. تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها عبر القنوات الإعلامية على أنها تمثل الإسلام.

ويشير" د. محمد عبدا لعليم مرسي [66] "إلي مفهوم الغزو الثقافي وأثره على المجتمعات العربية واصفاً إياه بأنه أحد أشكال الاستعمار الجديد ويسميه «الصليبية الجديدة» التي تعمل على تنصير العالم ومحاولة فرض التغريب على بعض الأقطار عبر النخب الحاكمة والمثقفين المنبهرين بحضارة الغرب ويشير الكاتب إلى أن بعض الدول العربية تأخذ ماهو سطحي وخالي

([66]) محمد عبد العليم : كتاب المنظور الإسلامي للثقافة والتربية،ص 150.

من المضمون من المادة الإعلامية الغربية وتقدمه للمتلقي العربي رغم تعارضه مع مبادئ الدين الإسلامي؛ وقد وصل الغزو الثقافي إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجرى التدريس فيها باللغة الإنجليزية.

مقارنا ذالك بموقف اليابان التي رفضت بإصرار شديد، أي تعديل في لغتها من جانب الأمريكيين عند توقيع معاهدة السلام عام 1950م، ونلاحظ في بعض الدول العربية مسألة شيوع اللهجة العامية في بعض القنوات الفضائية والإذاعات منها إذاعة الجنوب اللبنانية التي تلقي معظم برامجها باللهجة العامية و لكن بالحقيقة ماهي إلا محاولة من إسرائيل التي كانت تسيطر على هذه الإذاعة لتشويه اللغة العربية وإفراغها من محتواها وشيوع العامية وقد وجدت إسرائيل ضالتها في تحقيق ذلك من خلال بعض المفكرين والشعراء اللبنانيين أمثال الشاعر(سعيد عقل) الذي دعا إلى التخلص من قيود الفصحى ونشر العامية على أساس أنها لهجة قريبة من المتلقي وأسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمشاهد أو المستمع الذي يفهم لهجة بلده مثلا ليس بالضرورة يستطيع فهم اللهجات الأخرى وبالتالي تكون الفصحى أكثر فهما لجميع الأقطار العربية .

وللغزو الثقافي جوانب تشمل تقلص حجم العلوم الشرعية ومقررات الهوية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية والتوسع في إقامة المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وهنا تأتي أهمية الثقافة في أنها تعمل على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع، وتحقيق الطمأنينة للفرد وإشباع حاجته للأمن، وتحفظ للمجتمع تراثه القديم، وما نراه من غزو ثقافي أمريكي تجاه المنطقة في صور التعاون المشترك في مجال البحث العلمي والبحوث المشتركة والذي بدأ يتزايد مع بداية القرن العشرين.

وتشير أحدث الإحصائيات أنه في إيران تم إنشاء108 مدرسة غربية، وفي تركيا 450 مدرسة، وفي سوريا 95 مدرسة، وفي مصر 200

مدرسة؛غير أن الفترة التالية للحرب العالمية الثانية كانت هي الأخطر؛ حيث برزت برامج تعليمية ناجحة وهادفة، مثل مشروع "فأولبرايت" للتبادل التعليمي عام 1949، ثم مشروع "فران كلين" عام 1952، والذي وزع في سنواته العشر الأولى 30 مليون كتاب أمريكي في سعيه لهيمنة الثقافة الأمريكية على الثقافة العربية وجعل القارئ العربي في موضع مقارنة بين الثقافة الأمريكية التي تروجها هذه الكتب والثقافة العربية التي تصفها بالتخلف والبعد عن الواقع، وعلى مدى خمسة وثمانين عاماً، ظلت الجامعة الأمريكية في مصر تدافع علناً عن النظم الاجتماعية الغربية ، واستحدثت الجامعة قسم الدراسات الممتدة الذي افتتح في عام 1924م للإسهام في فحص المجتمع المصري، وجمع أكبر قدر من المعلومات عنه وبناء تصور لمشكلاته، ومن أهدافه التأثير في الخلفية الاجتماعية لطلاب الجامعة الشرقيين، وفي الأقطار المسلمة (عادات وتقاليد اجتماعية) التي تمثل أكبر عائق أمام تغريب الطلاب، والتأثير في طلاب الجامعة الذين سيناط بهم قيادة المجتمع في المستقبل.

كما أن معظم القائمين على تدريس التاريخ الإسلامي هم أساتذة مسيحيين أجانب، ويقومون أيضاً بتدريس تاريخ الشرق الأوسط والحركات الإسلامية المعاصرة، حتى المدرسات المسلمات يتم تصعيد المعاديات للإسلام منهن لهذا القسم ومنهن هدى لطفي مدرسة التاريخ الإسلامي، والتي تشكك في القرآن وترفض الحديث من منظورها المعادي للإسلام إضافة إلى الندوات التثقيفية التي تديرها الجامعة لكبار العلمانيين في مصر تدور مثلاً حول تفشي ظاهرة الحجاب كأنها مرض سببه الفقر، أما المتحدثات عن حقوق المرآة؛ إلى جانب سلسلة الندوات التي كانت عن الصراع العربي الصهيوني،

وغيره من الأمور التي نجحت في ترسيخ ما تريده من أفكار في عقول الطلبة العرب[67].

ففي دراسة عن "الهوية العربية الإسلامية ودور المؤسسة التعليمية في تشكيلها "قام بها "د/أحمد ثابت" أستاذ العلوم السياسية جاءت نتائج عينة الجامعة الأمريكية كما يلي:

1. 71.5٪ من طلاب الجامعة الأمريكية لا يعرفون لون العلم المصري أو ترتيب ألوانه.
2. 38.5٪ يرون أن ارتداء الحجاب يعد مظهراً للتخلف ومؤشراً لسلوك الفقراء.
3. 27.5٪ على شوق جارف للحصول على الجنسية الأمريكية، 19.5 ٪ يرون في تبادل القبلات بين الطلبة والطالبات مسألة حضارية ولا تتنافى مع التقاليد المصرية.
4. 75٪ يرون أن الوجود الأوروبي الاستعماري في مصر كان تعاوناً وتنويراً ولم يكن استعماراً، وأن مشاكل المجتمع المصري عندهم هي في قلة أماكن اللهو، وضوضاء أماكن العبادة، وعدم وجود أماكن لانتظار السيارات، وسوء فهم المجتمع للاختلاط بين الجنسين وحتى اللهو في هذه المدارس يتميز بالانحلال الأخلاقي، حيث تقام حفلات مختلطة مستمرة على أنغام الديسكو، وتعرض تمثيليات قصصية مترجمة منها ما هو عن المسيح وغيره من الأفكار الغربية المنحلة، وذلك في مناسبات الكريسماس وغيرها من الاحتفالات التي حلت مكان الاحتفالات الدينية كعيد السنة الهجرية وعيد المولد النبوي.

([67]) شبكة النبأ المعلوماتية –الاثنين 2008/9/19 – 1426/11/16.

دور المؤسسات التربوية في مكافحة الغزو الثقافي، ويتلخص هذا الدور في الآتي([68])([69]) :

3. قيام علماء التربية بكشف أهداف المدارس الأجنبية المقامة في البلدان الإسلامية، وتفنيد مناهجها ومقرراتها الدراسية ونشاطاتها وتوضيح مخاطرها على الأمة، واقتراح مناهج ومقررات بديلة، ودراسة آثار خريجي هذه المدارس على المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها ويعملون في مؤسساتها.

4. أن تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة من أساتذة التربية والإعلام، لكي يبدوا رأيهم فيها قبل أن تقدم للمجتمع.

5. إعداد كوادر للعمل الإعلامي وذلك في مرحلة التعليم الجامعي، مع عدم إغفال البعد التربوي في هذه العملية، ويقتضي ذلك أن يشارك أساتذة التربية في وضع الخطط الدراسية لكليات الإعلام..

6. قيام الدعاة وخطباء المساجد بتبصير الناس بمخاطر الغزو الثقافي وأساليب عمل مؤسسات هذا الغزو ، وأن تعتمد الخطب على البيانات والمعلومات الموثقة.

7. ومن هنا نرى أن الإعلام والغزو الثقافي الأجنبي أصبح يشكل أكبر تهديد للثقافة العربية والإسلامية، لأنه يكون كوادر موالية للحضارة الغربية، وبالتالي إزالة أي أثر لثقافة الشعوب وحضارتها وهو ما تسعى بكل ما أوتيت به لإكمال سيطرتها على العالم.

([68]) عبد الرحمن حمادي – صورة المسلمين في السينما العالمية – مجلة البيان – العدد171– الكويت – 1997 .

([69]) سليم علي جواد – نحن والآخر – مجلة الراية – العدد 203 – بيروت – 1988

obeikandi.com

المبحث الرابع
تقرير نتائج الاستبيان

تقرير نتائج الاستبيان الذي أجرة الباحث علي موقعة الإلكتروني علي شبكة الإنترنت خلال الفترة من2009/6/16 إلي 2009/7/26 في إطار الملتقي الإبداعي الثاني عشر والذي يحمل عنوان"الطلبة العرب والمشهد العالمي المعاصر" ومن خلال التعرض للتحديات الثقافية التي تواجهه أمتنا قام الباحث بطرح استبيان علي موقعة الإلكتروني علي شبكة الإنترنت العالمية التي تم من خلالها التعرف علي أراء الشباب العربي حول التحديات الثقافية وأزمة الثقافة العربية الراهنة وشارك في الدراسة"74فرد" وجاءت النتائج علي النحو التالي:

السؤال	النسبة صح	خطأ
السؤال الأول: في رأيك هل التحديات التي تواجه الثقافة العربية؟	٪90	٪10
أ- حاله الإحباط التي يعيشها المثقف العربي.		
ب- حالة التفكك التي تعيشها أمتنا.	٪90	٪10
ت- الفقر المعرفي لدي الطلبة والمثقف العربي.	٪100	-
ث- تضاؤل مساحه الحرية الممنوحة للفكر.	٪80	٪20
جميع ما سبق .		
السؤال الثاني: للغة دور كبير في الحفاظ علي قوميتنا العربية؟		
السؤال الثالث: للعولمة دور كبير في نشر الثقافة؟		

بينما كانت الإجابة على **السؤال الرابع:** ماهي أفضا الحلول والمقترحات للتصدي لأزمة الثقافة العربية؟وكانت كما يلي:

أكد "95٪" أن أفضل الحلول للتصدي لأزمة الثقافة العربية هي:

1- الاستفادة القصوى من الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت) وذلك لبناء ثقافة عربيه جديدة تواكب المستجدات العالمية السريعة القائمة على سرعة الاتصال والتواصل وخاصة إذا ما علمنا ضعف وقله وسذاجة وهامشيه المواقع العربية على شبكه الانترنت ، وكذلك غياب اللغة العربية عن نوافذ المعلومات على هذه الشبكة مقارنه بغيرها من اللغات حيث أن 88٪من المضامين التي تبث عبر شبكه الانترنت هي باللغة الإنجليزية و 9 ٪باللغة الألمانية و 2٪بالفرنسية ، و 1٪بباقي اللغات العالمية فما هو نصيب اللغة العربية من هذه النسب؛لابد إذن من السير إلى ما يسمى بالثقافة الرقمية التي أصبحت تقوم على نشر ثقافة العلم والمعرفة التقنية ومزج التراث بالثقافة وبالتقنية المتقدمة وتكوين الوعي العلمي ونشر الثقافة العلمية بين الأفراد.

2- الانفتاح على الثقافات الأخرى وتعميق ما يسمى بالتلاقح الحضاري والاستفادة التامة من معطيات الثقافات الأخرى والاستفادة مما لدى الآخرين من رصيد ثقافي وحضاري واستيعابها ضمن منظومة الثقافة العربية وذلك لان الانطواء والانكفاء والانكماش لا يولد سوى التخلف والتراجع والتقهقر عندها يتقدم الآخرون ونبقى نحن على ما نحن عليه،وخاصة أن التقارير تشير إلى وجود فجوة حضارية هائلة بيننا وبين العالم وخاصة في موضوع الترجمة التي تعتبر الوسيلة الأساسية للإطلاع على ثقافة الآخرين حيث تبين التقارير أن نصيب العرب من الترجمات خلال الفترة من عام 1970- 2008 ثمانية ألاف عنوان من أصل مليون ونصف المليون عنوان تقريبا وان العالم العربي يترجم سنويا حوالي 330 كتابا أي بمعدل كتاب لكل مليون شخص مقابل 519 كتاب في المجر و 920 كتاب في أسبانيا لكل مليون شخص.

ولقد قدر بعض الباحثين أن مجموع ما ترجم إلى العربية منذ عصر

المأمون اليوم بنحو عشرة آلاف كتاب وهو ما تترجمه أسبانيا في عام واحد " إن هذه الأرقام مذهله بل هي مخيفه لأنها تكشف عن مدى قصورنا في الإطلاع على ثقافة الآخرين وعلومهم ، بينما لو قارنا ما ينفق على البذخ والترف والأمور الثانوية من أموال لوجدناها تفوق ما ينفق على البحث العلمي والترجمة والنشر والتأليف مئات بل ألوف المرات !!!.

3- النقد الذاتي والمراجعة المستمرة لواقع الحال وتصحيح الأخطاء وتلافي السلبيات قدر الإمكان وذلك لأنة النقد الذاتي من أفضل سبل التصحيح والتجديد إلى الأفضل .

4- إن من أعظم سبل تطوير الثقافة وإعادتها إلى تألقها هو توفير الأجواء والمناخات المناسبة للعقل العربي لينطلق من عقدته ويحلق في فضاء العلم والمعرفة وذلك في إطار أجواء من الديمقراطية الحقيق وحرية الفكر وحرية الرأي والتعبير .

5. الثقة المطلقة والإيمان العميق لكل القائمين على شؤون الثقافة العربية بان هذه ألامه وثقافتها وحضارتها لا تندثر ولا تضمحل ولا تختفي ولا تموت حتى وان أصابها الخلل والقصور فان هذا الحال لن يدوم وان الثقافة العربية كما هي ألامه العربية ستنهض ذات يوم من كبوتها وتعود إلى مركز الصدارة في القائمة الإنسانية .

وأشارت نسبة "5٪" أن أفضل الحلول للتصدي لأزمة الثقافة العربية هي:

1. قيام علماء التربية بكشف أهداف المدارس الأجنبية المقامة في البلدان الإسلامية، وتفنيد مناهجها ومقرراتها الدراسية ونشاطاتها وتوضيح مخاطرها على الأمة، واقتراح مناهج ومقررات بديلة، ودراسة آثار خريجي هذه المدارس على المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها ويعملون في مؤسساتها.وأن تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان

متخصصة من أساتذة التربية والإعلام، لكي يبدوا رأيهم فيها قبل أن تقدم للمجتمع.

2. إعداد كوادر للعمل الإعلامي وذلك في مرحلة التعليم الجامعي، مع عدم إغفال البعد التربوي في هذه العملية، ويقتضي ذلك أن يشارك أساتذة التربية في وضع الخطط الدراسية لكليات الإعلام.

3. قيام الدعاة وخطباء المساجد بتبصير الناس بمخاطر الغزو الثقافي وأساليب عمل مؤسسات هذا الغزو، وأن تعتمد الخطب على البيانات والمعلومات الموثقة.

4. ومن هنا نرى أن الإعلام والغزو الثقافي الأجنبي أصبح يشكل أكبر تهديد للثقافة العربية والإسلامية، لأنه يكون كوادر موالية للحضارة الغربية، وبالتالي إزالة أي أثر لثقافة الشعوب وحضارتها وهو ما تسعى بكل ما أوتيت به لإكمال سيطرتها على العالم.

openkandl.com